Current Studies in Nahj-ul-Balaghah Open Access

Vol. 9, No. 1, (Issue 17) Autumn & Winter 2025: 125-140
DOI: 10.30473/anb.2026.78330.1498

ORIGINAL ARTICLE

Analysis and Examination of the Counter-Discourse of "ma" in the Sermons of Nahj al-Balāgha

Seyed Morteza Sabbagh Jafari[1*], Azam Shamsoddini[2], Marzieh Jahanpima[3]

1. PhD, Assistant Professor, Arabic Language and Literature, Faculty of Foreign Languages University & City: Vali-e-Asr University of Rafsanjan, Rafsanjan.
2. Degree: PhD, Assistant Professor, Arabic Language and Literature, Faculty of Foreign Languages University & City: Vali-e-Asr University of Rafsanjan, Rafsanjan.
3. M.A., Arabic Language and Literature, Faculty of Foreign Languages, University & City: Vali-e-Asr University of Rafsanjan, Rafsanjan.

Correspondence:
Seyed Morteza Sabbagh Jafari
Email: m.sabbagh@vru.ac.ir

Received: 17 Jun 2026
Accepted: 15 Sep 2026

How to cite
Sabbagh Jafari, S.M., Shamsoddini, A. & Jahanpima, M. (2025) Analysis and Examination of the Counter-Discourse of "ma" in the Sermons of Nahj al-Balāgha. *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*, 9(1), 125-140.
(DOI: 10.30473/anb.2026.78330.1498)

ABSTRACT

Counter-discourse, as an emerging concept in discourse analysis, refers to those elements that reinforce, stabilize, and enhance the persuasive force of a discourse's central core by creating a semantic halo around it. In Arabic, the particle mā, owing to its multifarious semantic and functional facets, is among the linguistic categories that can transcend a purely syntactic role and assume a counter-discursive function. Adopting an integrated approach combining syntactic, rhetorical, and discourse analysis and employing counter-discourse as the theoretical framework, this study conducted a comprehensive inductive examination of all sermons in Nahj al-Balāgha. From 819 extracted instances, representative samples of each type of mā were qualitatively analyzed. Statistical findings reveal that the relative pronoun mā is the most frequent type with 489 occurrences, followed by the negative (100), redundant (67), infinitival (57), interrogative (50), mā resembling laysa (27), exclamatory (22), and conditional mā (7). The qualitative analysis demonstrates that the relative mā delineates discursive identity boundaries between "self" and "other"; the interrogative mā disrupts normal communicative patterns to prompt the addressee's reconsideration; the exclamatory mā heightens core concepts affectively through cognitive shock; the conditional mā consolidates immutable laws; the negative mā multiplies layers of emphasis; the infinitival mā concretizes abstract notions and establishes intertextual references to the Qur'an; and the redundant mā (al-kāffa) creates restriction and decisive conciseness. Collectively, these types safeguard the Imam's central discourse against semantic instability and the addressee's skepticism. This study demonstrates that mā in Nahj al-Balāgha constitutes a systematic, multilayered counter-discursive strategy.

KEYWORDS

Discourse, Counter-Discourse, Types of Mā, Nahj al-Balāgha.

Copyright © 2025 The Authors. Published by Payame Noor University.
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/). Non-commercial uses of the work are permitted, provided the original work is properly cited.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

السنة التاسع، العدد الأول (المتوالي ١٧) خريف و شتاء ١٤٠٤ش/ ١٤٤٧ق. (١٢٥-١٤٠)

DOI: 10.30473/anb.2026.78330.1498

«مقاله پژوهشی»

تحليل ودراسة خطاب «ما» المضاد في خطب نهج البلاغة

سيد مرتضى صباغ جعفري[1*]، اعظم شمس‌الديني[2]، مرضيه جهان‌پيما[3]

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات الأجنبية، جامعة ولي العصر(عج) رفسنجان، رفسنجان، إيران.

٢. قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة ولي العصر(عج) ، رفسنجان، إيران.

٣. قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة ولي‌العصر(عج)، رفسنجان، إيران.

المؤلف المسؤول:
سيد مرتضى صباغ جعفري

بريد االكتروني: m.sabbagh@vru.ac.ir

تاريخ القبول: ١٤٤٨/٠١/٠٢
تاريخ الاستلام: ١٤٤٨/٠٤/٠٣

إرسال الاستشهاد إلى:
صباغ جعفرى، سيد مرتضى؛ شمس‌الدينى، اعظم و جهان‌پيما، مرضيه. (١٤٤٧). تحليل ودراسة خطاب «ما» المضاد في خطب نهج البلاغة. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*، ٩(١)، ١٢٥-١٤٠.
(DOI: 10.30473/anb.2026.78330.1498)

المخلص

يُعدّ الخطاب المضاد من المفاهيم الحديثة في مجال تحليل الخطاب، ويُطلق على العناصر التي تعمل، عبر خلق هالة دلالية حول النواة المركزية للخطاب، على دعمه وترسيخه وتعزيز قوّته الإقناعية. وتُعدّ لفظة «ما» في اللغة العربية، نظراً لتعدّد أوجهها الدلالية والوظيفية، من المقولات التي يمكن أن تتجاوز موقعها النحوي المحض لتؤدّي دوراً خطابياً مضاداً. وقد اعتمد هذا البحث، متّكئاً على مفهوم الخطاب المضاد بوصفه إطاراً نظرياً، منهجاً متكاملاً يجمع بين التحليل النحوي والبلاغي والخطابي، حيث استقرأ جميع خُطب نهج البلاغة استقراءً تامّاً، واستخرج ٨١٩ موضعاً لأنواع «ما»، ثمّ حلّل عيّناتٍ ممثّلة لكلّ نوعٍ تحليلاً كيفيّاً. وتُظهر النتائج الإحصائية أنّ «ما» الموصولة هي الأكثر تواتراً بواقع ٤٨٩ مرّة، تليها النافية (١٠٠)، فالزائدة (٦٧)، فالمصدرية (٥٧)، فالاستفهامية (٥٠)، فالشبيهة بليس (٢٧)، فالتعجّبية (٢٢)، فالشرطية (٧). ويكشف التحليل الكيفي أنّ «ما» الموصولة ترسم حدود الهوية الخطابية بين «الذات» و«الآخر»، والاستفهامية تعطّل النسق التواصلي الاعتيادي لحمل المخاطَب على إعادة النظر، والتعجّبية تبرز المفاهيم المحورية عاطفيّاً عبر الصدمة المعرفية، والشرطية تكرّس القوانين الثابتة، والنافية تضاعف طبقات التوكيد، والمصدرية تجسّد المفاهيم المجرّدة وتحيل إلى القرآن الكريم تناصّياً، والزائدة الكافّة تخلق قصراً وإيجازاً قاطعاً، وكلّها تسهم في حماية الخطاب المركزي للإمام (ع) من التزعزع الدلالي وتشكيك المخاطَب. وتُبيّن هذه الدراسة أنّ «ما» في نهج البلاغة تمثّل استراتيجية خطابية مضادّة منهجية ومتعدّدة المستويات.

الكلمات الدليلية:
الخطاب، الخطاب المضاد، أنواع «ما»، نهج البلاغة.

حق نشر هذه الوثيقة يعود لمؤلفيها. ١٤٤٧. ناشر هذه المقالة هو جامعة بيام نور.

تم نشر هذه المقالة بموجب الشهادة التالية ويسمح بأي استخدام غير تجاري لها بشرط االستشهاد بالمقالة بشكل صحيح وبما يتوافق مع الشروط المذكورة في العنوان أدناه.

Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)

المقدمة

الخطاب نظام من العلامات والمفاهيم، ينمّي في طيّاته عناصر خفيّة، وينتج في سياق كلّيّ مفاهيم جديدة عبر علامات منظومة. وهذه العناصر تخطو دائماً في سبيل إلقاء رسائل النص، وتصيير الخطاب مقنعاً للمتلقّين، بل وإثارة عواطفهم في بعض الأحيان، بما يتلاءم مع المعتقدات الإيديولوجيّة. ومن جملة هذه العناصر، الخطابات المضادّة أو الهالات الخطابيّة التي تؤيّد الخطاب بحلولها في جَوهره، كي يبدوَ الخطاب موجّهاً في عمليّة الإقناع والتبرير. فكلّ خطاب يولّد إلى جانبه خطابه المضادّ، ومن امتزاج الخطاب المهيمن بخطابه المضادّ ينبغ خطاب جديد. ومن أنفع طرق التأمّل في الخطابات والخطابات المضادّة، أن ننظر إليها بوصفها مجموعة من العلامات، بل سيرورة متلائمة وهالة تشكّل الخطاب المهيمن (تاجيك، ١٣٨٣: ٣٨). وفي هذا الإطار، يعزّز الخطاب المضادّ، بإحاطة الجوهر المركزي للخطاب بهالة دلاليّة، شروطه الإقناعيّة، ويقيه من التراجع الدلاليّ.

إنّ نهج البلاغة، وهو مجموعة أقوال مولى الموحّدين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، يحتلّ مكانة عالية في الثقافة الإسلاميّة والعربيّة، سواء من حيث الصّناعة أم من حيث المضمون والبلاغة. وهذه المجموعة الفاخرة، هي منتخبات من خطبه وحكمه ورسائله، جمعها السيّد الرضيّ قبل نحو ألف عام. وقد قال السيّد الرضيّ نفسه في سبب تسمية هذا العمل: «سمّيته نهج البلاغة، لأنّه يفتح أبواب البلاغة للناظرين، ويقرّب طالبي البلاغة من غايتهم، ويقضي حاجة المعلّم والمتعلّم والمبلّغ والزاهد» (السيّد الرضي، ١٤١٤: ٣٦). ومن أهداف هذا البحث وأهميّته، التأمّل والتدبّر في هذا النصّ المعجز، الذي يُعدّ بعد القرآن الكريم أرفع نصّ عربيّ وأوثقه وأفصحه؛ كتاب تحدّى به الإمام عليّ (عليه السلام) أساتذة البلاغة.

اللغة ظاهرة سلوكيّة ذات دلالات وتجلّيات حيّة، تشمل طيفاً واسعاً من الأفكار والمشاعر والعلامات، بناءً على المعنى المتلقّى منها. وكتاب نهج البلاغة، إضافةً إلى جوانبه البلاغيّة والنحويّة، يحتلّ مكانة خاصّة من حيث الصّرف واللغة أيضاً. فبالتأمّل في النصوص الأدبيّة والدينيّة، ولا سيما القرآن الكريم ونهج البلاغة، اللذين يحتوين على شتّى الحيل اللغويّة والبلاغيّة والعلاماتيّة، يدرَك أن الخطابات المضادّة في هذه النصوص، كظلّ واقٍ من قبل المتكلّم البارع، تعين المتلقّين على فهم التعاليم الأساسيّة والمفاهيم القيّميّة للمنظومة الخطابيّة فهماً أفضل وأعمق في فضاء مستبطن. وفي هذا السياق، فإنّ لفظة «ما» باعتبارها من أكثر ألفاظ اللغة العربيّة استعمالاً، وفي الوقت نفسه من أكثرها إبهاماً، نظراً لتعدّد وجوهها الدلاليّة والوظيفيّة (اسميّة وحرفيّة)، تؤدّي دوراً محوريّاً في البنية الخطابيّة لنهج البلاغة. إذ إنّ «ما»، بوقوعها في سياقات كلام الإمام (عليه السلام) المختلفة، تتجاوز كونها فئة نحويّة محضة، لتعمل بوصفها خطاباً مضادّاً؛ بمعنى أنها تدعم الخطاب المركزيّ للإمام من خلال آليّات مثل التبريز والتأكيد والنفي والتشبيه والحصر والاستفهام المجازيّ، وتعزّز قوّته الإقناعيّة.

وللخروج من الفضاء النظريّ المجرّد والتبيان الموضوعيّ للمسألة، يسعفنا ذكر مثالين من خطب نهج البلاغة. ففي النموذج الأوّل، يقول الإمام (عليه السلام): «وَمَا جَمَعُوا بُوراً وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ» (الخطبة ١٣٢). ففي هذه الجملة، جاءت «ما» الموصولة للإشارة إلى أموال المتمتّعين بالدنيا التي جمعوها، ولكنّ وظيفتها ليست مجرّد رابطة نحويّة؛ بل إنّ الإمام باختياره «ما» بدلاً من التصريح باسم الأموال، يوقع بتعميم تحقيريّ جميع ما ادّخروه في دائرة من الإبهام لا تؤول إلا إلى بوار. وهنا تتجاوز «ما» حدّ الاسم الموصول لتتحوّل إلى خطاب مضادّ؛ عنصر يعزّز، بالتحقير والاستصغار، خطاب الزهد وعدم استقرار الدنيا في مواجهة خطاب تكديس الثروة. وفي النموذج الثاني، يقول الإمام (عليه السلام): «مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ» (الخطبة ١٠٨). وهنا، وردت «ما» الاستفهاميّة في قالب استفهام مجازيّ بدلالة اللوم والعتاب. فالإمام بهذا السؤال، لا يبتغي التحقّق من خبر، بل يستهدف فرض الجواب على ضمير الكوفيّين النائم، ويحفزهم بهذه الحيلة للتأمّل في وهنهم وعدم جدواهم.

وهذا البحث يسعى تحديداً إلى تحديد وتحليل مثل هذه الوظائف لأنواع «ما» في خطب نهج البلاغة بأسرها، بشكل منظوم. فالاختلاف في فهم المعنى وتحديد نوع «ما» يؤدّي مباشرةً إلى اختلاف في فهم نصّ نهج البلاغة؛ لذا، فإنّ إدراك أسرار وجوه

استعمال هذه اللفظة، يعين على فهم أدقّ لهذا الكتاب العظيم.

هذا البحث محاولة لكشف لطائف المعاني في خطب نهج البلاغة، بناءً على اختلاف المعنى والوظيفة الخطابيّة المضادّة لـ«ما» في كونها اسماً أو حرفاً. وبناءً على ذلك، يسعى البحث الحاضر، بالإجابة عن الأسئلة التالية، إلى اتّخاذ خطوة مهمّة في سبيل فهم تحليليّ أدقّ لجماليّات نهج البلاغة اللفظيّة والمضمونيّة:

— ما هي أقسام «ما» وأكثرها تواتراً في خطب نهج البلاغة؟

— ما هي وظيفة الخطاب المضادّ لـ«ما» في خطب نهج البلاغة؟

خلفيّة البحث

لقد كانت لفظة «ما» –بسبب حضورها الواسع في مباحث النحو العربيّ– موضع عناية النحاة دائماً. بيدَ أن البحث في المصادر المكتبيّة يشير إلى أنه لم يُجرَ حتى الآن بحث بعنوان «تحليل الخطاب المضادّ لـ(ما) في خطب نهج البلاغة». ويمكن تصنيف الأبحاث الموجودة في مجالين: دراسات الخطاب المضادّ، وتحليل أنواع «ما»:

أ) دراسات الخطاب المضادّ:

ففي مقالة رضائي وآخرين (٢٠١٦م) بعنوان «الدور الخطابيّ المضادّ للاستعارة اللغويّة في ترميم العمليّة التواصليّة في رسائل نيمَا يوشيج»، تمّ اعتبار الاستعارة، بمنهج سيميائيّ — دلاليّ، حيلة تواصليّة للتبرير وترميم العلاقات وإدارة الانفعالات في الخطاب.

كما عرّف داودي مقدم وآخرون (٢٠١٧م) في مقالة بعنوان «دور الخطابات المضادّة في التحليل الخطابيّ لسورة الكهف (دراسة قصّة أصحاب الكهف والخضر وموسى)»، في دراستهم الخطابيّة لسورة الكهف، «الخطاب المضادّ» بأنّه ظلّ واقٍ في جَوهر الخطاب الرئيس، يعيّن ويستبطن المفاهيم القيّميّة للقرآن للمتلقّي بحيل كالتقصيص وخرق المألوف والنموذج الأصليّ.

ب) أبحاث تحليل أنواع «ما»:

ففي مقالة إبراهيم بن سعيد الدوسري (٢٠٠٣م) «أصول (ما) في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقيّة على سورة يس»، عدّ «ما» في القرآن سبعة أنواع رئيسيّة، وأشار إلى اختلاف تقسيمها عند القرّاء والمفسّرين والنحاة.

كما تناول فاضل فلاورجاني (٢٠١١م) في رسالته «مراجعة مفهوم وترجمة الفارسيّة لأحد الأساليب التطبيقيّة (ما) في القرآن الكريم»، أنواع «ما» من منظور الصرف والنحو والبلاغة والترجمة.

وتناول محمّد بن محمود فجّال (٢٠١٣م) في مقالته «الخصائص التركيبيّة والدلاليّة لـ(ما) المصدرية في القرآن الكريم» الخصائص البنيويّة والدلاليّة لـ«ما» المصدرية، ومنها الدور الربطيّ والتأويل بالمصدر.

وركّز مجدي حاج إبراهيم (٢٠١٨م) في مقالته «دلالات (ما) في القرآن الكريم وترجمتها إلى اللغة الإنجليزيّة» على تحدّيات ترجمة «ما» إلى الإنجليزيّة، معتبراً الصعوبة الأساسيّة في عدم وجود مقابل لـ«ما» التعجّبيّة والزائدة التوكيديّة. كما قام سامي محمّد نعمان (٢٠٢٤م) في بحثه «(ما) ودلالاتها النحويّة» بتحليل شامل لأنواع «ما» الاسميّة والحرفيّة والزائدة، والتفريق الدقيق بين «ما» الكافّة وغير الكافّة.

والبحث الحاضر، باتّخاذ منهج «تحليل الخطاب والخطاب المضادّ»، خلافاً للأبحاث السابقة، يعدّ «ما» أداة خطابيّة للتبرير وتثبيت المعنى، واختار لأوّل مرّة خطب نهج البلاغة مادّة للدراسة. كما أنه بالتحليل الإحصائيّ لتواتر أنواع «ما»، يتجاوز الوصف المجرّد ليبحث في علّة استعمال كلّ نوع، ويسدّ بذلك الفجوات المنهجيّة والمادّيّة والتحليليّة في هذا المجال.

الإطار النظريّ

الخطاب المضادّ من المفاهيم الحديثة في مجال تحليل الخطاب، تكوّن بإضافة سابقة «مضادّ» إلى «خطاب» وأوجد مفهوماً جديداً. و«مضادّ» في اللغة بمعنى الحارس، والناطور، والداعم، والدوام، والثبات، والتنظيم، وامتلاك الحجّة (دهخدا، ١٣٧٧: ذيل پاد). وبناءً على ذلك، تعمل الخطابات المضادّة كظلّ واقٍ يدعم الخطاب المركزيّ باستمرار، ويعزّز شروطه الإقناعيّة. فالخطاب المضادّ، بإحاطة جوهر الخطاب بهالة خطابيّة، يحقّق حالة تزداد فيها قوّة إقناع الخطاب (بابك معين، ٢٠١٥م: ١٠٨). وتتمثّل وظيفة الخطابات المضادّة في أنها تتدخّل كلّما عانى الخطاب من تراجع دلاليّ لأسباب شتّى، أو احتاج

إلى دعم لتأمين رسالته، فتدعم نقطة ثقل الخطاب وحيويّته بإحداث هالة دلاليّة (سجادي فر وپرنيان، ٢٠٢٢م: ١٩٤).

ولفظة «ما» في اللغة العربيّة من أكثر الألفاظ استعمالاً، ذات معان متعدّدة، وتختلف وظيفتها النحويّة ودورها الدلاليّ في البنية اللغويّة. ويهيّئ تعدّد وجوه استعمال هذه اللفظة أرضيّة الخطأ في التمييز والالتباس المعنويّ في الجُمل، بحيث يساعد التمييز بين أنواعها تمييزاً جيّداً في فهم اللغة العربيّة. ولـ«ما» اثنا عشر وجهاً استعماليّاً، سبعة أنواع منها اسميّة وخمسة حرفيّة، ولم تستعمل بمعنى الفعل. وأنواعها الاسميّة هي: المعرفة التامّة، والمعرفة الناقصة، والشرطيّة، والاستفهاميّة، والنكرة التامّة، والنكرة الموصوفة، والنكرة الوصفيّة. وأنواعها الحرفيّة تشمل: الشبيهة بليس، والمصدرية غير الظرفيّة، والمصدرية الظرفيّة، والكافّة، والزائدة. وإنّ إدراك الخصائص الصرفيّة والنحويّة والبلاغيّة لهذه الأنواع، جعل تفسيرها عسيراً، وهذا التعقيد نفسه يكشف عن ضرورة تحليل هذه اللفظة تحليلاً خطابيّاً.

ومن منظور الخطاب المضادّ، فإنّ «ما» ليست مجرّد فئة نحويّة، بل يمكنها –حسب نوعها وسياق استعمالها– أن تعمل كأداة لدعم الخطاب المركزيّ، وتبرير المعنى، وتثبيت المفاهيم، وتعزيز القوّة الإقناعيّة للكلام. وبناءً على ذلك، يسعى البحث الحاضر، بتحليل الأنواع الاسميّة والحرفيّة لـ«ما» في خطب نهج البلاغة، إلى تبيين الوظيفة الخطابيّة المضادّة لكلّ نوع في ضوء الإطار النظريّ المذكور.

دراسة وجوه وظيفة أنواع خطاب «ما» المضادّ في خطب نهج البلاغة

«ما» الاسميّة

«ما» الاسميّة –لشبهها الوضعيّ بالحرف– مبنيّة، ولها محلّ من الإعراب. وهذا القسم ينقسم إلى نوعين رئيسين:

«ما» الاسميّة المعرفة

ينقسم هذا النوع إلى قسمين: ناقصة (موصولة) وتامّة. فـ«ما» الموصولة تحتاج دائماً إلى جملة (صلة) لتكملة معناها، مثل: ﴿ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ﴾ (النحل: ٩٦). و«ما» المعرفة التامّة تنقسم بدورها إلى عامّة بمعنى «الشيء» وخاصّة، وتأتي غالباً بعد أفعال المدح والذمّ «نِعْمَ» و«بِئْسَ».

«ما» الاسميّة النكرة

ينقسم هذا النوع إلى قسمين: مجرّد من معنى الحرف (الذي ينقسم بدوره إلى ناقصة وتامّة) ومتضمّن معنى الحرف (ويشمل الاستفهاميّة والشرطيّة).

تحليل خطاب «ما» الاسميّة المضادّ

تحليل خطاب «ما» الموصول (المعرفة الناقصة) المضادّ

«ما» الموصولة من الموصولات المشتركة، تستعمل بلفظ واحد لجميع الصيغ، وتستعمل غالباً لغير العاقل. وفي استعمالها للعاقل، هناك رأيان رئيسيان: فريق كابن عصفور والسّهيلي والصّبّان وأبي جعفر النحّاس يرونها خاصّة بغير العاقل، أو يرون استعمالها للعاقل نادراً ومجازيّاً (ابن عصفور، ١٤١٩: ١١٥/١؛ السّهيلي، ١٤١٢: ١٤٢–١٣٩؛ الصّبّان، ١٤٢٥: ٢٢٢/١–٢٢٣؛ النحّاس، ١٤٢١: ١٦١/٥). وفي المقابل، يجيز الفرّاء وابن درستويه وابن مالك استعمالها للعاقل، وإن كانوا يعطون الأولويّة لغير العاقل (الفرّاء، ١٩٨٠: ١٠٢/١؛ ابن مالك، ١٤٢٢: ٢١٢/١). وتشمل مواضع استعمال «ما» للعاقل: اجتماع العاقل مع غير العاقل (باب التغليب)، ووصف العاقل، وموارد الإبهام، وإرادة التعظيم، وإجراؤها مجرى غير العاقل. وهذا النوع، بـ٤٨٩ مورداً، هو أكثر أنواع «ما» تواتراً في خطب نهج البلاغة.

ويبيّن تحليل النماذج أن «ما» الموصولة في خطاب الإمام (عليه السلام) تتجاوز مستوى الرابطة النحويّة المحضة لتتحوّل إلى أداة خطابيّة مضادّة لأغراض كالتحقير والتوبيخ، والتعظيم، والتأكيد واليقين، والتأخير وجلب الانتباه، وبيان العموميّة والشموليّة.

وفيما يلي تحليل بعض نماذج من هذا النوع (ما):

– «وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا» (الخطبة: ١٤٩).

فـ«ما» الموصولة مع صلتها «لم تشردوا»، تعبّر عن شرط النجاة من اللوم في قالب مبهم، لكنّه جامع. فهذا التعميم المتعمّد، يغرق المخاطب في هالة من الإبهام حول المدى الدقيق للتفرّق، وبذلك يثبّت الالتزام بالوحدة كمبدأ لا مفرّ منه (البحراني، ١٣٧٩: ٢١٣/٣). وكلّما وقعت «ما» قبل «لم» النافية فهي موصولة (الزركشي، ١٩٥٧: ٤٠١/٤).

– «وَمَا جَمَعُوا بُوراً وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ» (الخطبة ١٣٢).

فالإمام باستعماله «ما» الموصولة بدلاً من التصريح باسم الأموال، يوقع بتعميم تحقيريّ جميع مدّخرات المتمتّعين بالدنيا في دائرة من الإبهام لا تؤول إلا إلى بوار. فهذا البناء يعزّز خطاب الزهد وعدم استقرار الدنيا في مواجهة خطاب تكديس الثروة، ويحفّز المخاطب على إعادة النظر في قيمة الأموال الزائلة.

– «فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ» (الخطبة: ٢٢٣).

جاءت «ما» الموصولة في خدمة تعظيم الله وتكبيره. فالإمام بهذا البناء يعيد تمثيل عظمة القدرة الإلهيّة بإبهام ممزوج بالتفخيم؛ بحيث يقف المخاطب، دون مواجهة بمصداق محدّد، أمام عظمة لا توصف (مكارم الشيرازي، ٢٠١١م: ٣٧٨–٣٨١).

– «وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ» (الخطبة: ٢٢٣).

جاءت «ما» الموصولة لغرض تحقير الإنسان الناكر وتوبيخه. فالإمام بهذا التعبير يبرز ضعف الإنسان الذاتيّ وعجزه أمام عظمة الربّ، ويحفّزه بالتوبيخ الشديد على التأمّل في تناقض سلوكه (معصية الله الكريم).

– «فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ» (الخطبة: ١٤٧).

فـ«ما» الموصولة بإحداثها تأخيراً في ذكر الصلة، تزيد رغبة المخاطب في المعرفة. وهذا التأخير المتعمّد يعدّ المخاطب لتقبّل النتيجة النهائيّة –وهي التواضع أمام العظمة الإلهيّة– استعداداً أفضل. «فالموصول قد يكون لفظه مفرداً مذكّراً، لكنّه من حيث المعنى قد يكون مثنّىً أو جمعاً أو غير ذلك، وهذا يجري في لفظي (من وما) الموصولين، وذلك إذا كان المقصود منهما غير المفرد المذكّر، وفي هذه الحالة يجوز وجهان: مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى» (الإيراني، ٢٠١٣م: ٤٥/٢).

– «أن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ» (الخطبة ١٥٣).

فـ«ما» الموصولة بالتأكيد وإيجاد اليقين، تظهر حكم حرمة الشرك في العبادة قاطعاً لا مساغ للمماراة فيه. فالإمام بهذا البناء يزيل كل شبهة في هذا الحكم، ويثبّته مبدأ لا ريب فيه. وكلّما دخل حرف الجرّ على «ما» –عدا «الكاف»– فهذه «ما» موصولة (الزركشي، ١٩٥٧: ٤٠١/٤).

تحليل خطاب «ما» الاستفهاميّة (النكرة المتضمّنة معنى الحرف) المضادّ

جاءت «ما» الاستفهاميّة، كأحد أنواع الاسميّة المتضمّنة معنى الحرف، في ٥٠ موضعاً من الخطب. وهذا النوع في الجملة الاسميّة إذا جاء بعده ظرف أو جارّ ومجرور أو اسم نكرة فهو مبتدأ مرفوع، وإذا جاء بعده اسم معرفة فهو خبر مقدّم مرفوع محلّاً. وفي الجملة الفعليّة، له أحكام مختلفة بحسب نوع الفعل (ناقص، تامّ متعدّ، أو تامّ لازم). والإمام (عليه السلام)، بعدوله عن الوظيفة الاستفهاميّة المباشرة، استفاد من الاستفهام المجازيّ في أنواعه التنبيهيّة والإنكاريّة والتوبيخيّة والتقريريّة والتعجّبيّة، وبذلك تحوّلت «ما» الاستفهاميّة إلى أداة لخلخلة المسار الاعتياديّ للتواصل، وفرض الجواب على ضمير المخاطب، ونزع الشرعيّة عن الأفعال غير الصواب.

وفيما يلي تحليل بعض نماذج لـ«ما» الاستفهاميّة في خطب نهج البلاغة:

– «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ» (الخطبة ٢٢٣).

جاءت «ما» الاستفهاميّة في قالب استفهام تنبيهيّ. والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي إيقاظ المخاطب من غفلته: فالإمام بهذه الأسئلة المتتالية، يضع المخاطب في موقف يعترف فيه بنفسه بخطأ موقفه، وبذلك يعزّز خطاب التوبة والرجوع في مواجهة خطاب الغرور. وهذه الخطبة ناظرة إلى تفسير الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار: ٦) (مكارم الشيرازي، ٢٠١١م: ٣٧٥/٨–٣٦٩).

– «مَا لِعَلِيٍّ وَ لِنَعِيمٍ يَفْنَى وَ لَذَّةٍ لَا تَبْقَى» (الخطبة: ٢٢٤).

جاءت «ما» الاستفهاميّة في قالب استفهام إنكاريّ، تنفي عدم ملاءمة ذات الإمام للذات الفانية. والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي تعزيز خطاب الزهد والتقوى: فهذا السؤال يلقي في الواقع

قضيّة سلبيّة في قالب استفهام على المخاطب، ويخرج خطاب التعلّق بالدنيا من دائرة الشرعيّة. فالاستفهام الإنكاريّ هو استفهام مجازيّ، يكون فيه مقصود المتكلّم نفي ما بعد أداة الاستفهام (الزركشي، ١٩٥٧: ٣٢٨/٢-٣٢١؛ البحراني، ١٣٧٩: ٨٣/٣).

- «يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي، مَنْ دَعَا وَ إِلَامَ أُجِيبَ؟» (الخطبة ٢٢).

جاءت «ما» الاستفهاميّة بين فعلين ماضيين، وحذفت ألفها (بسبب دخول حرف الجرّ) فصارت «إلامَ» (الزركشي، ١٩٥٧: ٤٠٢/٢). والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي توقّع الفشل ونزع الشرعيّة عن الخصوم: فهذا السؤال الذي أُلقِيَ على أبواب معركة الجمل، بإحداثه هالة من الحسرة واليأس، يبطل دعوى طلحة والزبير (مكارم الشيرازي، ٢٠١١م: ٢٢/٢-٣٤).

- «مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ» (الخطبة: ١٠٨).

جاءت «ما» الاستفهاميّة بدلالة اللوم والعتاب، تحفّز الكوفيّين على التأمّل في وهنهم. والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي فرض الجواب على ضمير المخاطب النائم: فالإمام بتشبيهه الكوفيّين بأشباح بلا أرواح، يضعهم في موقف يعترفون فيه بأنفسهم بعدم جدواهم (البحراني، ١٣٧٩: ٨٣/٣).

- «فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ (ص) بِضَلَالِي وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي؟» (الخطبة: ١٢٧).

جاءت «ما» الاستفهاميّة بعد حرف الجرّ، فحذفت ألفها. والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي إبطال منطق الخوارج التكفيريّ: فالسؤال التوبيخيّ للإمام يوقع استدلال الخوارج في تناقض بيّن، ويهدم شرعيّة خطاب التكفير. وفي جميع هذه الموارد، لا يبتغي الإمام التحقّق من خبر، بل يهدف إلى الضغط الإقناعيّ وتصحيح مسار المخاطب الفكريّ؛ لأنّ الاستفهام الحقيقيّ لطلب الفهم والتحقّق من الخبر، أمّا الاستفهام المجازيّ فيستخدم لأهداف غير تلقّي المعلومة كالإنكار والتوبيخ والتقرير والتعجّب (السيوطي، ١٩٧٤: ٢٧٤/٣).

تحليل خطاب «ما» التعجّبيّة (النكرة المجرّدة الناقصة) المضادّ

«ما» التعجّبيّة من العناصر اللغويّة البارزة في نهج البلاغة، تستعمل للتعبير عن الدهشة والتعجّب والتأكيد، وقد وردت في ٢٢ مورداً من الخطب. وفعل التعجّب غالباً لا يدلّ على زمن، لأنّ جملة التعجّب إنشائيّة محضة، والغرض منها إنشاء التعجّب والإعلان عنه (قبش، ١٩٨٦: ٦٥). وأكثر النحويين عدّوا «ما» التعجّبيّة نكرة تامّة غير موصوفة، لأنّ التعجّب مبهم، والوصف يخرجه من الإبهام.

ويبيّن تحليل النماذج أن الوظيفة الخطابيّة المضادّة لـ«ما» التعجّبيّة هي التبريز العاطفيّ للمفاهيم المحوريّة، وإحداث الصدمة المعرفيّة، وتوطين القيم في ذهن المخاطب. وفيما يلي تحليل بعض نماذج منها:

- «مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ» (الخطبة ١٨٧).

الوظيفة الخطابيّة المضادّة لـ«ما» التعجّبيّة هي نقد السلوكات والتأكيد على الإصلاح: فالإمام بإبدائه الدهشة من طول العناء وبعد الأمل، يقدّم في الواقع حكماً ضمنيّاً على السلوكات غير الصائبة، ويدعو المخاطب إلى الانسجام مع هذا الحكم.

- «فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ» (الخطبة: ١٦٠).

الوظيفة الخطابيّة المضادّة لـ«ما» التعجّبيّة هي تبريز عظمة نعمة النبوّة: فبناء «مَا أَعْظَمَ» بإحداثه الدهشة، يكشف عظمة وقيمة بعثة النبيّ (ص)، ويجذب نظر المخاطب إلى هذا الحدث العظيم.

- «مَا أَجْوَدَ يَدَهُ، وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بَخِيلٌ» (الخطبة: ١٤٢).

جاءت «ما» التعجّبيّة في قالب تعجّب استهزائيّ. والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي فضح الرياء: فالإمام بإبدائه الدهشة الساخرة من الكرم المرائي، يبرز التناقض بين السلوك الاجتماعيّ والبخل في سبيل الله.

- «فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا» (الخطبة: ١٩١).

الوظيفة الخطابيّة المضادّة لـ«ما» التعجّبيّة هي التحذير من ندرة المتّقين الحقيقيّين: فبناء «مَا أَقَلَّ» بإبدائه الدهشة من قلّة قابلي التقوى، يحفّز المخاطب على إعادة النظر في مكانته.

- «فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ» (الخطبة: ١٣٠).

الوظيفة الخطابيّة المضادّة لـ«ما» التعجّبيّة هي تقبيح سلوك الظالمين والدعوة إلى التفكّر: فالإمام ببناء «مَا أَحْوَجَ»، يربط الأسف على حرمان الإنسان من نعم الله بتقبيح سلوك الظالمين، ويدعو المخاطب إلى التأمّل في هذا الحرمان الذاتيّ. إنّ «ما»

التعجّب في نهج البلاغة أداة خطابيّة مضادّة لتثبيت الرسالة في ذهن المخاطب وتوطين القيم الأخلاقيّة.

تحليل خطاب «ما» الشرطيّة (النكرة المتضمّنة معنى الحرف) المضادّ

«ما» الشرطيّة من أقلّ أنواع «ما» تواتراً في خطب نهج البلاغة، إذ لم يُعثر عليها إلا في ٧ موارد من الخطب. وهذا النوع يستعمل عادةً لغير العاقل، والفعل الماضي معها يدلّ على المستقبل. وإذا دخلت «ما» الشرطيّة على فعل لازم، فهي شرطيّة زمانيّة (المهلبي، ١٤٢٠: ٢٥٥). و«ما» الشرطيّة، على خلاف «ما» الموصولة، تدلّ على المعنى العام، وتنقسم أسماء الشرط إلى نوعين: نوع يجزم فعلاً مضارعاً واحداً، ونوع يجزم فعلين مضارعين (نعمة، بيتا: ١٧٦).

ويبيّن تحليل النماذج أن الوظيفة الخطابيّة المضادّة لـ«ما» الشرطيّة هي تثبيت القوانين الأخلاقيّة والاعتقاديّة الثابتة، وإيجاد اليقين في المخاطب، والتحذير من العواقب الحتميّة للأفعال. وهذا النوع ورد حصراً في الخطب الاعتقاديّة – الأخلاقيّة.

وفيما يلي تحليل جزئيّ لبعض الأمثلة:

– «وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً» (الخطبة: ١٥٣).

في الواقع، تستمدّ هذه العظات أصولها من الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة؛ حيث نعدّ الله «مالك يوم الدين»، والدنيا «مزرعة الآخرة»، وفي سورة الحشر يقول: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر: ١٨)، وفي سورة البقرة: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِانفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾ (البقرة: ١١٠) (مكارم الشيرازي، ٢٠١١م: ٦/٧٥-٧٢).

الوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي تثبيت العلاقة السببيّة بين الفعل والجزاء: فالإمام بهذه الجملة الشرطيّة الحقيقيّة التي صدرت بثقة تامّة، يعيد تمثيل نتيجة الأعمال حتميّة لا مفرّ منها، وبذلك يعزّز خطاب المسؤوليّة في مواجهة خطاب الغفلة.

– «فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ» (الخطبة: ١٩٦).

جاءت «ما» الشرطيّة مع جواب شرط منفيّ «فليس بمستدرك». والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي التحذير من الغرق في فتن الدنيا: فـ«الفاء» على رأس جملة جواب الشرط تبرز العلاقة المنطقيّة بين الشرط والجزاء، وتلقي قطعيّة نفي الرجوع إلى المخاطب (مكارم الشيرازي، ٢٠١١م: ٧/٦٤٥-٦٥٢).

– «وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ» (الخطبة: ١٩٦).

الوظيفة الخطابيّة المضادّة لـ«ما» الشرطيّة هي التأكيد والتحذير من الغفلة: فالإمام بهذا البناء يحكم على الناجين ظاهراً من بحر الدنيا بالهلاك أيضاً، وبذلك يهدم أيّ شعور بالأمان الزائف في نفس المخاطب، ويحفّزه على التأمّل في مسؤوليّاته.

تحليل خطاب «ما» الحرفيّة المضادّ

«ما» الحرفيّة على ثلاثة أقسام: النافية، والمصدرية، والزائدة.

«ما» النافية

تدلّ «ما» النافية على نفي مضمون الجملة، وتدخل على الجملة الاسميّة والفعليّة. وعلى الجملة الاسميّة، تعمل عند أهل الحجاز عمل «ليس» (ما الشبيهة بليس): ﴿مَا هَذَا بَشَراً﴾ (يوسف: ٣١) و﴿وَمَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ (المجادلة: ٢) (قوجوي، بيتا: ١٦١). وعلى الفعل المضارع، تنفي الحال فقط (الأندلسي، ١٤٢٣: ٥/٤٤٧). وهذا النوع بـ١٠٠ مورد، هو ثاني أنواع «ما» استعمالاً في الخطب.

ويبيّن تحليل النماذج أن الوظيفة الخطابيّة المضادّة لـ«ما» النافية هي حماية الخطاب المركزيّ وتعزيز قوّته الإقناعيّة، من خلال حفظ اسميّة الجملة، والدخول في جواب القسم، والاقتران بـ«الباء» الزائدة.

تحليل خطاب «ما» النافية غير العاملة:

«ما» حرف نفي مبنيّ على السكون. تنفي الفعل الماضي، مثل: «ما حضرَ المعلّمُ». وتنفي الفعل المضارع أيضاً، مثل الآية: ﴿وَما تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٧٢). كما تنفي الجملة الاسميّة (عند غير الحجازيّين)، مثل: «ما زيدٌ قائمٌ».

وفيما يلي تحليل بعض أمثلة «ما» النافية في خطب نهج البلاغة:

– «وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وَ بَعْدَ الْمُوَالاَةِ أَحْزَاباً. مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ بِاسْمِهِ» (الخطبة ١٩٢).

«ما» تنفي الفعل المضارع، وتدلّ على نفي في الزمن الحال. والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي الطرد الخطابيّ للصحابة المخالفين: فالإمام بنفيه تعلّقهم بالإسلام في نفس لحظة الكلام،

يبطل ادّعاءهم الإسلام الزائف، ويرسم الحدود بين «الذات» و«الآخر».

وفي مواضع قليلة من جمل نهج البلاغة، ورد حرف «ما» على خلاف «ليس» في الجمل الاسميّة والفعليّة في موضع جواب القسم، مثل:

– «وَاَللَّهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا» (الخطبة ١٢٢).

– «وَاللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ» (الخطبة: ١٧٤).

جاءت «ما» النافية في موضع جواب القسم. والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي مضاعفة طبقات التأكيد، وتحويل القضيّة إلى مبدأ مسلّم لا يقبل الجدل. وفي اللغة العربيّة، تدخل «ما» على خلاف «ليس» في جواب القسم، وهذا أحد دلائل تأكيد «ما» الأقوى (سيبويه، ١٩٩٠: ١/ ٤٦٠). وعدم ورود «ليس» في جواب القسم في القرآن ونهج البلاغة، يدلّ على الطاقة التأكيديّة الأعلى لـ«ما» (حسنوند، ٢٠١٦م: ١٠٥–١٢٠).

وكما يظهر في الخطب، فإنّ «ما» النافية وردت في غالبها على رأس الجملة الفعليّة، ونادراً ما دخلت على الجملة الاسميّة:

– «مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَ لَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ» (الخطبة ٢٢٣).

دخلت «ما» على الجملة الاسميّة، وحافظت على اسميّتها. والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي النفي مع الثبوت والاستقرار الأكبر: فخلافاً لـ«ليس» التي تحوّل الجملة إلى فعليّة، فإنّ «ما» بحفظها اسميّة الجملة، تؤدّي النفي بقوّة ورسوخ أكبر، وبذلك تنفي المسؤوليّة عن الدنيا وتُلقِيها على الإنسان نفسه.

– «ما كانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الْإِمَّةِ» (الخطبة: ١٨٩).

الوظيفة الخطابيّة المضادّة لـ«ما» النافية هي دفع توهّم حاجة الله إلى عبادة العباد. فالإمام بهذا النفي يحفظ خطاب التوحيد والغنى المطلق الإلهيّ في مواجهة شائبة حاجة الله. ومع أنّ ابن أبي الحديد حمل «ما» على معنى المدّة، لكنّ الصحيح أنها نافية، ومعنى العبارة أن الله غنيّ مطلق، ولا حاجة له إلى سكّان الأرض (البحراني، ١٣٧٩: ٣/ ٤٣٥).

تحليل خطاب «ما» الشبيهة بليس (ما الحجازيّة) المضادّ

من التراكيب النحويّة كثيرة الاستعمال في كتاب نهج البلاغة الشريف، «ما» الشبيهة بليس (ما الحجازيّة)، وقد وردت في مواضع شتّى وبأغراض بلاغيّة متنوّعة. وهذا النوع من «ما»، حرف نفي يعمله أهل الحجاز عمل «ليس»؛ بمعنى أنه يرفع الاسم وينصب الخبر، وإن كان أضعف منها قوّةً نحويّةً، وكلّما نُقِضَ خبره بـ«إلّا» أو قُدِّمَ على الاسم، يفقد عمله النحويّ (الموصلي، ١٤٢٢: ١/ ٢٧٠–٢٦٧).

ومع ذلك، ومن منظور تحليل الخطاب والخطاب المضادّ، فإنّ «ما» الشبيهة بليس ليست مجرّد أداة نحويّة، بل هي أداة قويّة في خدمة الأغراض التواصليّة والبلاغيّة للإمام عليّ (عليه السلام). وفيما يلي تحليل خطابيّ مضادّ لبعض نماذج هذا النوع من «ما» في خطب نهج البلاغة:

– «وَمَا أَسْمَاعُكُمُ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالْأَمْسِ» (الخطبة: ٨٩).

الوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي النفي مع الثبوت والاستقرار الأكبر. فاستعمال «ما» الشبيهة بليس في هذه الجملة يدلّ على نفي الزمن الحال، وشدّة نفيه أضعاف «ليس». والسبب في ذلك أن «ما» –على خلاف «ليس– لا تحوّل الجملة من اسميّة إلى فعليّة، بل تبقى اسميّة؛ ومن المعلوم أن الجملة الاسميّة تدلّ على ثبوت واستقرار أكثر من الفعليّة، فنفيها بـ«ما» ينقل قوّة وتأكيداً أكبر. وإضافةً إلى ذلك، فإنّ دخول حرف «الباء» الزائد على الخبر «بدون» –الذي يستخدم لتأكيد النفي– يضيف طبقة أخرى من التأكيد إلى هذا التعبير. ويجدر الذكر أن هذا الحرف الزائد يدخل على خبر «ما» أكثر من خبر «ليس»، وهذا دليل على سعة «ما» لقبول التراكيب التوكيديّة.

– «وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي» (الخطبة: ٢٠٠).

جاءت «ما» الشبيهة بليس مقترنة بجملة القسم. والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي خلق موقف خطابيّ لا يقبل الجدل. ففي هذا التعبير، يقسم الإمام (عليه السلام) بالله نافياً دهاء معاوية وسياسته مقارنةً به. والنقطة الجديرة بالانتباه في هذا البناء هي اقتران «ما» الشبيهة بليس بجملة القسم. ففي اللغة العربيّة، تدخل «ما» –على خلاف «ليس»– في جواب القسم، وهذا أحد دلائل تأكيد «ما» الأقوى من

سائر أدوات النفي (سيبويه، ١٩٩٠: ١/٤٦٠). وجمل جواب القسم، سواء كانت مثبتة أو منفيّة، من الجُمل المؤكّدة في اللغة العربيّة. وحيث إنّه لم ترد أيّة آية في القرآن ولا أيّة جملة في نهج البلاغة بـ«ليس» في جواب القسم، فهذا يدلّ على أن الطاقة التأكيديّة لـ«ما» تفوق «ليس» بكثير. واستعمال الإمام (عليه السلام) لهذا البناء، يدلّ على عزمه ويقينه في ردّ أيّة دعوى تفوّق لمعاوية.

– «مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي» (الخطبة ٣٤).

الوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي ترميم العلاقة المتضرّرة عن طريق التحذير. فالإمام (عليه السلام) في هذا المقطع، يصف مخاطبيه بصراحة وقاطعة تامّة بأنّهم فاقدون لأهلية الثقة. وجاءت «ما» الشبيهة بليس هنا أيضاً مقترنة بـ«الباء» الزائدة على الخبر «بثقة»، وهذا الاقتران يرفع الحمل التوكيدي للجملة ارتفاعاً ملحوظاً. وقيد «سَجِيسَ اللَّيَالِي» –بمعنى إلى آخر الليالي والأيام– يزيد من دوام هذا النفي واستمراره، ويحوّله من نفي مؤقّت إلى حكم دائم. ومن المنظور الخطابيّ، فإنّ الإمام (عليه السلام) بهذا البناء التوكيدي متعدّد الطبقات، لا يبلّغ خبراً فحسب، بل يسعى إلى ترميم العلاقة المتضرّرة مع المخاطبين والتحذير من استمرار هذا انعدام الثقة.

– «لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» (الخطبة: ٥٨).

الوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي الثبات على الموقف الخطابيّ والردّ القاطع على التهمة. فقد عبّر الإمام بهذا النفي في قالب جملة اسميّة، وهي بطبيعتها تدلّ على الثبوت والاستمرار، وبذلك يردّ بشكل قاطع أيّ احتمال للضلال.

– «فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ» (الخطبة: ٩١).

الوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي تثبيت مفهوم العصمة وتبريز مكانة الملائكة. فتقديم الخبر في هذا البناء يدلّ على الحصر والاختصاص. فالإمام بهذا التعبير، لا ينفي الانحراف عن الملائكة فحسب، بل يصفهم بحيث يصبح الانحراف والملائكة مفهومين منفصلين تماماً. وهذا البناء الخطابيّ المضادّ، يسهم بشكل كبير في تثبيت مفهوم عصمة الملائكة في ذهن المخاطب وتبريز مكانتهم في نظام الخلق.

– «وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ» (الخطبة: ١٧٦).

الوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي إحداث الحصر وتهيئة المخاطب لتقبّل المشقّات الذاتيّة للطاعة. ومن المنظور الخطابيّ، فإنّ هذا البناء النحويّ –مع فقدانه عمله– ينقل مع ذلك حملاً توكيديّاً عالياً. فتركيب «ما» النافية مع «إلّا» الاستثنائيّة يخلق بناءً حصريّاً ينفي أيّ طاعة خارج دائرة الكراهة والمشقّة. فالإمام (عليه السلام) بهذا الأسلوب، يهيّئ المخاطب لمواجهة مشقّات الطاعة الذاتيّة، ويمنعه من توهّم السهولة والراحة في طريق العبوديّة.

تحليل خطاب «ما» الكافّة (الزائدة) المضادّ

«ما» الزائدة

هي نوعان: كافّة (مانعة من العمل) وغير كافّة (غير مانعة):

«ما» الكافّة

لها ثلاثة أقسام:

– كافّة عن عمل الرفع: تلحق بـ«قلّ، كثر، طال» على شبه «ربّ»، ولا يأتي بعدها إلا جملة فعليّة (الأنصاري، ١٤٢١: ٤/٦٨-٦٧).

– كافّة عن عمل الجرّ: تلحق بأربعة حروف جرّ («ربّ، كاف، باء، من») وثلاثة ظروف «بين، إذ، حيث» (المرادي، ١٤١٣: ١/٤٥٦).

– كافّة عن عمل النصب والرفع: تتصل بالحروف المشبّهة بالفعل، وتمنعها من العمل النَّسْخيّ.

ويبيّن تحليل النماذج أن الوظيفة الخطابيّة المضادّة لـ«ما» الكافّة في بناء «إنّما»، هي إحداث الحصر والتأكيد معاً، والإيجاز القاطع، وتركيز ذهن المخاطب على جوهر الرسالة.

وفيما يلي تحليل بعض أمثلة «ما» الكافّة في خطب نهج البلاغة:

– «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا» (الخطبة: ١٤٥).

الوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي كسر الغرور وإيقاظ المخاطب من الغفلة: فالإمام بحصر وجود الإنسان في «غرض تير المنايا»، يتحدّى إرادة الإنسان واستقلاله، ويعزّز خطاب عدم استقرار الدنيا في مواجهة خطاب الغرور والتعلّق. وكما نعلم، فإنّ من دلالات «إنّما» أنها تفيد الاستصغار في سياق خاصّ وبحسب حال المخاطب (ابن يعيش، ١٤٢٢: ٥٦/٨). فـ«إنّما» هنا تدلّ على تحقير الإنسان واستصغاره أمام إرادة الله، حيث يقول الإمام (عليه السلام): أنتم في هذه الدنيا هدف لتير المنايا، أي لا اختيار لكم في البقاء أطول في هذه الدنيا، وكلّما شاء الله أصابتكم سهام الموت.

– «إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَ أَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ» (الخطبة: ٥٠).

بعض علماء النحو واللغة يعتقدون بالحصريّة في لفظة «إنّما»، وقليل منهم كالأندلسي والآمدي يرون أنها ليست للحصر بل تفيد التأكيد (الأندلسي، ١٤٢٠: ٤٧٣/٧). والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي تعريف الفتن وحصر عواملها: فالإمام بحصر منشأ الفتن في اتّباع الهوى والابتداع في الأحكام، يركز ذهن المخاطب على هذين العاملين الرئيسيّين بدلاً من العوامل الفرعيّة المتفرّقة، وبذلك يحدّد طريق مواجهة الفتنة.

– «فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ» (الخطبة: ١٩٢).

الوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي تقديم تفسير موجز، قاطع، لا يقبل الجدل، للفوارق البشريّة. فالإمام بحصر علّة التفاوت في اختلاف الطينة، يبتعد عن الإطناب، وينقل الرسالة بأقصى درجات الإيجاز والقاطعة إلى المخاطب. وهذا البناء يعزّز خطاب القضاء والحكمة الإلهيّة في مواجهة خطاب التمييز والظلم (البحراني، ١٣٧٩: ٣٢٢/٤).

– «إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ» (الخطبة: ٢٣٤).

لفظة «طِينِهِمْ» في كلام الإمام (عليه السلام) إشارة إلى تلك الأرض والطين الذي كان مادّة وجود الإنسان؛ كما أشار إلى هذا المعنى في الخطبة الأولى من نهج البلاغة. والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي الحصر والإيجاز في تفسير الاختلافات البشريّة، حيث يردّ الإمام (عليه السلام) التفاوت إلى اختلاف العناصر الأولى للطين، ويعزّز بذلك خطاب الحكمة الإلهيّة في خلق البشر (البحراني، ١٣٧٩: ٣٢٢/٤). ومع أن أكثر المترجمين ينقلون «إنّما» بمعنى التأكيد، إلا أنها –بعد دخول «ما» الكافّة– تختصّ بإفادة الحصر (الزمخشري، ١٩٩٣: ٦٠٧/١).

تحليل خطاب «ما» المصدرية المضادّ

«ما» المصدرية

تؤوّل الفعل الذي بعدها إلى مصدر:

– غير زمانية: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ (التوبة: ١١٨) ⟵ تقدير: «برحبها» (الأنصاري، ١٣٧٩: ٢٦٣/٢).

– زمانية: وذلك عندما يُقدّر قبلها «زمان» أو «مدة» أو «وقت» ونحوها: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣١) ⟵ تقدير: «مدة دوامي حياً» (المرادي، ١٤١٣: ٣٢٢).

ويبيّن تحليل النماذج أن الوظيفة الخطابيّة المضادّة لـ«ما» المصدرية هي تعيير المفاهيم المجرّدة، وتشريع الفعل من خلال المحاكاة، وإطلاق الحكم عبر الامتداد الزمنيّ، والاستفادة من سلطة خطاب الوحي عبر التناصّ.

وفيما يلي تحليل بعض نماذج من «ما» المصدرية في خطب نهج البلاغة:

– «وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُم» (الخطبة: ١٠٧).

«ما» المصدرية غير الزمانية مع «كاف» التشبيه، تؤوّل فعل «أزالوكم» إلى مصدر «إزالتهم إيّاكم». والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي تشريع الفعل من خلال المحاكاة: فالإمام بخلق رابطة تشبيهيّة بين الفعلين، يعيد تمثيل عمل جيشه ليس كعدوان، بل كردّ مكافئ ومشروع على فعل الخصم السابق، ويبرئ خطابه من تهمة الابتداء. والتوافق النحويّ «كما + فعل» هو انعكاس للتوافق الميدانيّ للصراع، ويلقي شدّة المواجهة في نفس المخاطب.

– «وَاللَّهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً» (الخطبة: ١٢٦).

«ما» المصدرية الزمانية مرّتين، بتقدير «مُدَّةَ سَمَرِ سَمِيرٍ» و«مُدَّةَ أَمِّ نَجْمٍ»، تربط المدى الزمنيّ لنفي التمييز في بيت المال بظاهرتين طبيعيّتين مستمرّتين. والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي إطلاق الحكم عبر الامتداد الزمنيّ والتصوير المحسوس: فالإمام بربط نفي

التمييز بنظام الكون الثابت، يتجاوز بهذا الحكم الإطار الزمنيّ الخاصّ، ويحوّله إلى مبدأ ثابت في خطاب حكمه. وصور الليل والنجوم الملموسة في ذهن المخاطب العربيّ، ترفع الرسالة من مستوى الاستدلال المنطقيّ إلى مستوى الصورة التي لا تُنسى.

– «فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ» (الخطبة: ١١٥).

«ما» المصدرية غير الزمانية، تؤوّل فعل «قنطوا» إلى مصدر «قُنوطِهِمْ». والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي تبريز رحمة الله من خلال التضادّ والتناصّ مع القرآن. فالإمام بوضع اليأس في منزلة «المرحلة التي تمّ تجاوزها»، يبرز الأمل في قلب الإحباط. وهذا التناصّ مع الآية ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ (الشورى: ٢٨)، يربط كلام الإمام بكلام الوحي، ويستفيد من سلطة الخطاب القرآنيّ (مكارم الشيرازي، ٢٠١١م: ١٣٣/٥-١٣٤).

– «كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا» (الخطبة: ١٨٦).

«ما» المصدرية غير الزمانية مع «كاف» التشبيه، تؤوّل فعل «كان» التامّ إلى مصدر «كَكَوْنِهِ». والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي تثبيت مفهوم أزليّة الألوهيّة من خلال التوافق النحويّ وتماسك الرواية الكبرى للوجود. فالإمام بوضع أزليّة الله كأساس للتشبيه، يعيد تمثيل الوجود بعد الفناء تماماً كالوجود قبل الخلق (البحراني، ١٣٧٩: ٤٢٧/٣). و«ما» المصدرية في هذا النصّ هي حلقة الوصل بين نقطة بداية الوجود ونهايته.

– «وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ» (الخطبة: ٩٧).

«ما» المصدرية غير الزمانية في تركيب مع «كاف» التشبيه، تؤوّل فعل المضارع «يميد» إلى مصدر «كَمَيَدَانِ الشَّجَرِ». والوظيفة الخطابيّة المضادّة لهذا البناء هي تعيير المفاهيم المجرّدة للإيمان (الخوف والرجاء)، وتقديم نموذج للإنسان المؤمن المثاليّ. فالإمام بهذا التشبيه، ينقل المخاطب من مستوى الوصف النظريّ إلى مستوى التجربة الحسّيّة، ويعيد تمثيل الإيمان ليس كحالة ساكنة، بل كحركة دائمة بين الخوف والرجاء (مكارم الشيرازي، ٢٠١١م: ٢١٦/٤). وهذا البناء يقدّم نموذجاً خطابيّاً لتربية نفوس المخاطبين.

النتائج

يُظهر استقراء خطب نهج البلاغة أن لفظة «ما» وردت في مجموع ٨١٩ موضعاً، منها «ما» الموصولة بـ٤٨٩ مورداً (٥٩.٧٪) أكثر الأنواع تواتراً، و«ما» الشرطية بـ٧ موارد فقط (٠.٩٪) أقلها تواتراً. والأنواع الأخرى حسب الترتيب: «ما» النافية ١٠٠ مورد (١٢.٢٪)، «ما» الزائدة ٦٧ مورداً (٨.٢٪)، «ما» المصدرية ٥٧ مورداً (٧٪)، «ما» الاستفهاميّة ٥٠ مورداً (٦.١٪)، «ما» الشبيهة بليس ٢٧ مورداً (٣.٣٪)، و«ما» التعجّبيّة ٢٢ مورداً (٢.٧٪). وهذا التوزيع الإحصائيّ يشير إلى أن الغالب في استعمال «ما» في الخطب هو في خدمة الربط المعنويّ والوصف والتصنيف الخطابيّ، بينما يؤدي البناء الشرطيّ أقلّ دور في تحقيق الأغراض الخطابيّة.

أما التحليل الكيفيّ لهذه المعطيات فيبيّن أن «ما» الموصولة، بخلقها بناء «موصول + صلة»، تصنّف المخاطبين إلى فئتي «الذات» و«الآخر»: فحين يستخدم الإمام هذا البناء لوصف المؤمنين الحقيقيّين والمتّقين والأنصار الأوفياء، يرسم ويثبّت حدود الهويّة الجماعيّة لخطابه؛ وحين يستخدمه للمنافقين والمتمتّعين بالدنيا والأعداء، يطرد الآخرَ الخطابيّ ويحقّره ويخرجه من دائرة الشرعيّة. وهذا التمييز يتمّ عبر آلية «موصول + صلة» النحويّة، ومن خلال التعميم والإبهام المتعمّدين اللذين يتيحان إمكانية التطبيق على مصاديق متعدّدة، ويزيدان من شموليّة الخطاب.

كما أن «ما» الاستفهاميّة، بعدولها عن الوظيفة الاستفهاميّة المباشرة نحو الاستفهام المجازيّ بأنواعه التنبيهيّة والإنكاريّة والتوبيخيّة والتقريريّة، تخلخل المسار الاعتياديّ للتواصل، لتخرج المخاطب من حالة السلبية وتدفعه إلى إعادة النظر في معتقداته وأفعاله. فأسئلة الإمام المتتالية في هذه الخطب، ليست لطلب العلم، بل صُمّمت لفرض الجواب على ضمير المخاطب، وتتحوّل إلى أداة للضغط الإقناعيّ وتصحيح مساره الفكريّ.أما «ما» التعجّبيّة، فبتبريزها العاطفيّ للمفاهيم المحوريّة كالعظمة الإلهيّة وفناء الدنيا وقيمة التقوى، ومن خلال إحداثها الصدمة المعرفيّة، تزيد من بقاء الرسالة في الذهن. و«ما» الشرطيّة، رغم قلة تواترها، تثبّت القوانين الأخلاقيّة والاعتقاديّة الثابتة في خطاب الإمام، بإقامتها العلاقة المنطقيّة بين الشرط والجزاء؛ وانحصار استعمالها في الخطب الاعتقاديّة –

الأخلاقيّة يدلّ على أن الإمام استخدم هذا البناء بوعيّ للتعبير عن الحقائق التي لا ريب فيها.وفي بُعد آخر، تضطلع «ما» في تراكيب النفي والتأكيد والتشبيه والحصر، بدور حماية الخطاب المركزيّ وتعزيز قوّته الإقناعيّة. فـ«ما» النافية، بحفظها اسميّة الجملة –على خلاف «ليس» التي تحوّلها إلى فعليّة– تؤدّي النفي بثبوت واستقرار أكبر، وحين تقع في جواب القسم أو تقترن بـ«الباء» الزائدة على الخبر، تضاعف طبقات التأكيد، وتحوّل القضيّة المنفيّة من ادّعاء قابل للمناقشة إلى مبدأ مسلّم به. وهذه الآلية تبلغ ذروتها في «ما» الشبيهة بليس؛ حيث يمزج الإمام نفي دعوى تفوّق معاوية بالقسم و«الباء» التوكيديّة، ليخلق بذلك ليس مجرّد خبر، بل موقفاً خطابيّاً لا يقبل الجدل.

أما «ما» المصدرية، فتؤوّل الجملة إلى مصدر وتربطها بـ«كاف» التشبيه أو ظرف «بعد»، فتحوّل المفاهيم المجرّدة إلى تجارب حسّيّة ملموسة؛ كما في تشبيه حال المؤمنين بالشجر المائل في العاصفة، حيث يرتقي مفهوم الإيمان من مستوى الوصف الذهنيّ إلى مستوى الصورة الموضوعيّة. وهذه النوع أيضاً، من خلال التناصّ مع القرآن الكريم، تضع خطاب الإمام في استمراريّة خطاب الوحي، وتستفيد من سلطانه للتأثير في المخاطب.

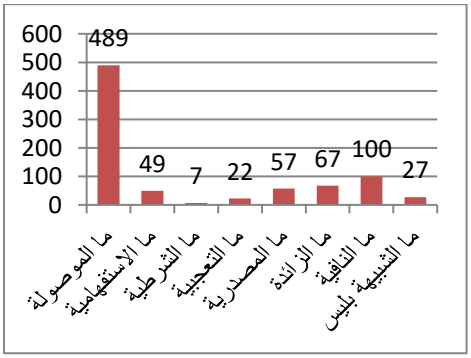

الشكل ١. عدد أنواع خطاب «ما» المضاد في نهج البلاغة

أما «ما» الزائدة الكافّة، فبناء «إنّما»، وبإحداثها الحصر والتأكيد معاً، تصون الخطاب من التشتّت الدلاليّ وكثرة التأويل، وتقود إلى الإيجاز القاطع غير القابل للتأويل. وفي المجمل، يُظهر هذا التحليل أن «ما» في نهج البلاغة ليست مجرّد فئة نحويّة، بل هي استراتيجيّة خطابيّة مضادّة منظومة ومتعدّدة الطبقات، استخدمها الإمام (عليه السلام) بوعيّ ووفقاً لمقتضى حال المخاطب وموقع الخطابة، مستفيداً من طاقاتها المتنوّعة. فهذه اللفظة، عبر آليّات كالتبريز والتأكيد والحصر والنفي والتشبيه والتأخير والإبهام المتعمّد والتناصّ وإحداث الصدمة المعرفيّة والعاطفيّة، دعمت الخطاب المركزيّ للإمام في مواجهة التزعزع الدلاليّ وتشكيك المخاطب، وعزّزت قوّته الإقناعيّة وبقاءه. كما أن التوزيع الإحصائيّ لأنواع «ما» هو انعكاس لأولويات الإمام الخطابيّة: فغلبة «ما» الموصولة تدلّ على محوريّة التبيين والتصنيف الخطابيّ، بينما تدلّ ندرة «ما» الشرطيّة على أن خطاب الإمام يقوم على الحقائق الموضوعيّة أكثر من الافتراضات النظريّة المجرّدة.

وقد تم تمثيل تواتر أنواع «ما» في رسوم بيانية لتيسير استحضارها في الذهن:

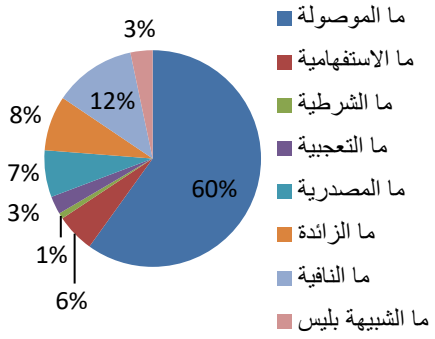

الشكل ٢. النسبة المئوية لأنواع خطاب «ما» المضاد في نهج البلاغة

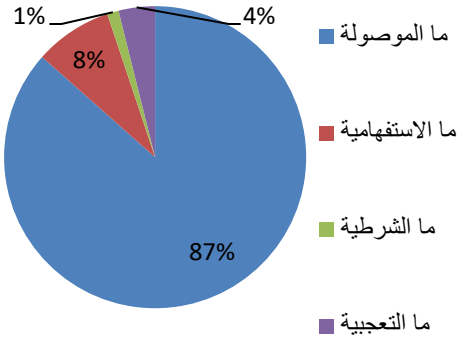

الشكل ٣. النسبة المئوية لأنواع «ما» الاسمية في الخطاب المضاد في نهج البلاغة

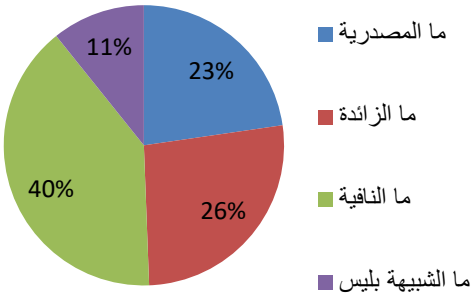

الشكل ٤. االنسبة المئوية لأنواع «ما» الحرفية في الخطاب المضاد في نهج البلاغة

المصادر و المراجع

القرآن الكريم

نهج البلاغة (٢٠٠٤)، تحقيق: صبحي صالح، القاهرة: دار الكتاب المصري.

ابن عصفور، علي بن مؤمن (١٤١٩). **شرح جمل الزجاجي**. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن مالك، محمد بن عبد الله (١٤٢٢). **شرح التسهيل**. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن يعيش، موفق الدين (١٤٢٢). **شرح المفصل للزمخشري**. بيروت: دار الكتب العلمية.

الأندلسي، أبو حيان (١٤٢٠). **التذييل والتكميل في شرح الكتاب التسهيل**. دمشق: دار القلم.

الأندلسي، أبو حيان (١٤٢٠). **المحيط في التفسير**. بيروت: دار الفكر.

الأندلسي، أبو حيان (١٤٢٣). **البحر المحيط**. بيروت: دار الإحياء.

الأنصاري، ابن هشام عبد الله بن يوسف (١٤٢١). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. بيروت: دار الفكر.

الأنصاري، ابن هشام عبد الله بن يوسف (١٣٧٩). **مغني الأديب**، ترجمة: سودابه مظفري، قم: نشر حقوق الإسلامي.

الإيراني، سيد حسين (١٣٩٢). **شرح هداية في النحو**. مشهد: كتاب شفا.

البحراني، ابن ميثم (١٣٧٩). **شرح نهج البلاغة ابن ميثم**. طهران: نشر الكتاب.

بابك معين، مرتضى (١٣٩٤). **المعنى بوصفه تجربة معاشة: العبور من السيميائيّة الكلاسيكيّة إلى السيميائيّة بمنظار ظاهراتي**. طهران: سخن.

تاجيك، محمدرضا (١٣٨٣). **الخطاب والخطاب المضاد والسياسة**. طهران: مؤسسة تطوير العلوم الإنسانية.

حسنوند، صحبت الله (١٣٩٥). الجمل السلبيّة الاسميّة ودلالاتها المعنويّة في القرآن الكريم. **بحوث لغوية قرآنية**، ١(٩)، ١٢٠-١٠٥.

داودي مقدم، فريدة وشعيري، حميدرضا وقُطْبي، ثريا (١٣٩٦). دور الخطابات المضادّة في التحليل الخطابي لسورة الكهف (دراسة قصّة أصحاب الكهف والخضر وموسى). **بحوث لغوية قرآنية**، صص ١٦-١.

الدوسري، إبراهيم بن سعيد (١٤٢٤). أصول (ما) في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقيّة على سورة يس. **المجلّة العلميّة لجامعة الملك فيصل**، صص ٩١- ١٤٦.

دهخدا، علي أكبر (١٣٧٧). **المعجم**. طهران: منشورات جامعة طهران.

الزركشي، محمد بن بهادر (١٩٥٧). **البرهان في علوم القرآن**. بيروت: دار المعرفة.

رضائي، رؤيا ومشهدي، محمد أمير ونيك بخت، عباس (١٣٩٥). الدور الخطابي المضاد للاستعارة اللغويّة في ترميم العمليّة التواصليّة في رسائل نيما يوشيج. **بحوث لغوية**، ٧(٢)، صص ١٢١-١٠٥.

الزمخشري، محمود بن عمر (١٩٩٣). **المفصل في صنعة الإعراب**. بيروت: دار المكتبة الهلال.

سجادي فر، وحيد وموسى پرنيان (١٤٠١). وظيفة الخطابات المضادّة الدينيّة والآنيّة (السلوكات الداعمة) في تطوير السرد؛ دراسة حالة الحكايات الشعبيّة القصيرة الإيرانيّة. **فصلية السرديات**، ٦(١١)، صص ٢١٨-١٨٩.

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (١٤١٢). **نتائج الفكر في النحو**. بيروت: دار الكتب العلمية.

سيبويه، أبو بشر عمرو (١٩٩٠). **الكتاب**. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (١٩٧٤). **الإتقان في علوم القرآن**. مصر: الهيئة المصريّة العامة للكتاب.

الصبّان، محمد بن علي (١٤٢٥). **حاشية الصبّان على شرح الأشموني**. بيروت: مكتبة العصريّة.

فجّال، محمد بن محمود (١٤٣٤). الخصائص التركيبيّة والدلاليّة لـ(ما) المصدرية في القرآن الكريم. **مجلة الآداب**، ٢٥(٣)، ٦٠٢-٥٦٧.

الفرّاء، يحيى بن زياد (١٩٨٠). **معاني القرآن**. مصر: دار المصريّة.

قبش، أحمد (١٩٨٦). **الكامل في النحو والصرف والإعراب**. الجزائر: دار الرشيد.

قوجوي، محمد بن مصطفى (د.ت). **شرح قواعد الإعراب لابن هشام**. بيروت: دار الفكر المعاصر.

مجدي، حاج إبراهيم (١٤٣٨). دلالات (ما) في القرآن الكريم وترجمتها إلى اللغة الإنجليزيّة. **تعظيم الوحيين**، ٢(١)، ٣٨-١٣.

مكارم الشيرازي، ناصر (١٣٩٠). **رسالة أمير المؤمنين**. قم: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب.

المهلبي، حسن بن بركات (١٤٢٠). **نظم الفرائد وحصر الشرائد**. الرياض: مكتبة العبيكان.

النحّاس، أحمد بن محمد (١٤٢١). **إعراب القرآن**. بيروت: دار الكتب العلمية.

النعمة، فؤاد (دون تاريخ). **ملخص قواعد اللغة العربيّة**. القاهرة: دار الثقافة.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

سال نهم، شماره یکم، پیاپی ۱۷، پاییز و زمستان ۱۴۰۴ (۱۲۵-۱۴۰)
DOI: 10.30473/anb.2026.78330.1498

«مقاله پژوهشی»

تحلیل و بررسی پادگفتمان «ما» در خطبه‌های نهج‌البلاغه

سید مرتضی صباغ جعفری[1*]، اعظم شمس‌الدینی[2]، مرضیه جهان‌پیما[3]

۱. گروه زبان وادبیات عربی، دانشکده زبان‌های خارجی، دانشگاه ولی عصر (عج)، رفسنجان، ایران.
۲. گروه زبان وادبیات عربی، دانشکده زبان‌های خارجی، دانشگاه ولی عصر (عج)، رفسنجان، ایران.
۳. گروه زبان وادبیات عربی، دانشکده زبان‌های خارجی، دانشگاه ولی عصر (عج)، رفسنجان، ایران.

نویسنده مسئول:
سید مرتضی صباغ جعفری
رایانامه: m.sabbagh@vru.ac.ir

تاریخ دریافت: ۱۴۰۵/۰۳/۲۷
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۵/۰۶/۲۴

چکیده

پادگفتمان از مفاهیم نوین در حوزه تحلیل گفتمان است که به عناصری اطلاق می‌شود که با ایجاد هاله‌ای معنایی پیرامون هسته مرکزی گفتمان، به حمایت، تثبیت و تقویت قدرت اقناعی آن می‌پردازند. واژه «ما» در زبان عربی به سبب تعدد وجوه معنایی و کارکردی خود، از جمله مقولاتی است که می‌تواند از جایگاه صرفاً نحوی فراتر رفته و نقش پادگفتمانی ایفا کند. این پژوهش با رویکردی تلفیقی از تحلیل نحوی، بلاغی و گفتمانی و با تکیه بر مفهوم پادگفتمان به عنوان چارچوب نظری، تمامی خطبه‌های نهج‌البلاغه را به‌صورت استقرای تام بررسی نموده و از میان ۸۱۹ موضع استخراج‌شده، نمونه‌های شاخص هر نوع را تحلیل کیفی کرده است. یافته‌های آماری نشان می‌دهد که «ما»ی موصوله با ۴۸۹ مورد پربسامدترین نوع است و پس از آن نافیه ۱۰۰، زائده ۶۷، مصدریه ۵۷، استفهامیه ۵۰، شبیه به لیس ۲۷، تعجبیه ۲۲ و شرطیه ۷ مورد قرار دارند. تحلیل کیفی نشان می‌دهد که «ما»ی موصوله با ترسیم مرزهای هویت گفتمانی میان «خودی» و «دیگری»، استفهامیه با مختل کردن روال عادی ارتباط و واداشتن مخاطب به بازاندیشی، تعجبیه با برجسته‌سازی عاطفی مفاهیم محوری و ایجاد شوک شناختی، شرطیه با تثبیت قوانین تغییرناپذیر، نافیه با مضاعف‌سازی لایه‌های تأکید، مصدریه با عینی‌سازی مفاهیم انتزاعی و ارجاع بینامتنی به قرآن، و زائده کافّه با ایجاد حصر و موجزگویی قاطع، گفتمان مرکزی امام را در برابر تزلزل معنایی و تشکیک مخاطب حمایت کرده‌اند. این مطالعه نشان می‌دهد که «ما» در نهج‌البلاغه یک راهبرد پادگفتمانی نظام‌مند و چندلایه است.

واژه‌های کلیدی

گفتمان، پادگفتمان، انواع «ما»، نهج‌البلاغه.

استناد به این مقاله:

صباغ جعفری، سید مرتضی؛ شمس‌الدینی، اعظم و جهان‌پیما، مرضیه. (۱۴۰۴). تحلیل و بررسی پادگفتمان «ما» در خطبه‌های نهج‌البلاغه. *دراسات حديثة في نهج‌البلاغة*، ۹(۱)، ۱۲۵-۱۴۰.
(DOI: 10.30473/anb.2026.78330.1498)

حق انتشار این مستند، متعلق به نویسندگان آن است. ۱۴۰۴ ©. ناشر این مقاله، دانشگاه پیام نور است.
این مقاله تحت گواهی زیر منتشرشده و هر نوع استفاده غیرتجاری از آن مشروط بر استناد صحیح به مقاله و با رعایت شرایط مندرج در آدرس زیر مجاز است.
Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)